اسم المصدر: اليوم

التاريـــخ: 24-12-2009 رقم العـدد: 13341 رقم الصفحة: 19 مسلسـل: 134 رقم القصاصة: 1

لمحة من تاريخ مدينة الزبير

إن الاهتمام بالوثائق والتراجم هو اهتمام بالتاريـخ الـذي هـو أسـاس كل مجتمـع، فـلا مسـتقبل بدون تاريخ، ولا تاريخ يحفظ ويعرف بـدون توثيق ودراسـة وحفظ، إذاً هـو التاريخ الذي به نتغنى، هو التاريـخ الذي به نتأثر، هو التاريخ الذي به نعيش ونتعايش مع نتائجه، هو التاريـخ الذي به نعرف مقـدار تضحيات الماضين ومعاناتهم، فالتاريخ كان وما زال وسيظل محط اهتمـام الأمم، ومحـركا لقـرارات تاريخية ربما تؤثر على الأمة قاطبة.

من هـذا المنطلـق يطالعنا الدكتـور علي أبا حسين بكتابه «لمحة من تاريخ مدينة الزبير» وهو كتاب من القطع المتوسط، جاء في طبعته الأولى للعام 1430هـ/2009م وبلغ عدد صفحاته أربع مئة وتسعاً وسبعين صفحة، يقول المؤلف الدكتور أبا حسـين في مقدمـة كتابه: فيه نبـذة عن المكانة الثقافيـة لمدينة الزبيـر ودور بعض علمائها وما سـوف يتلوه من علماء سـنترجم لهم في الجزء الثانـي إن شـاء اللـه تعالـى، لقد كانـت مدينة الزبيـر من أهم مراكز التعليـم في القرن الماضي مع مثيلاتها كمدينة عنيزة وأشـيقر والأحسـاء والكويت ومكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها، إذ كان العلمـاء يتنقلون بين هاتيك المراكز العلمية ومنها مدينـة الزبير ينهلون من معينها الذي لا ينضب، وفيها (معهد دويحس) الذي يعتبر في درجة الجامعات سـواء من حيث مستوى العلماء الذين يدرسـون فيها أو مناهج التعليم والكتب المقررة للتدريس فيها».

ثـم بين المؤلف أنه ترجم لعلماء أسـرته ونقل ممن ترجم لهم سـواء في أشـيقر أو في غيرها، ثم تطرق إلى الكتاب إلـى المقالات التي تحدثت عـن دور الملك عبد العزيز آل سـعود ـ يرحمه الله ـ فـي توحيد الجزيرة العربيـة واهتمامه ووالده بمدينة الزبير التي سكنها من أهل نجد والحجاز وهم موالون لهم وللملـك عبد العزيز ولديارهم التـي نزحوا منهـا حتى عادوا إليها ليسـاهموا في تطور النهضة الحضاريـة المباركة التي بدأت في عهده وازدهرت في عهد أبنائه الذين ساروا على نهجه فاحتلت المكانة الثقافية والاقتصادية والسياسـية، موصلاً شـكره إلى رفيقة دربه وأم أبنائـه وإلى ابنته الدكتورة أسـماء لمسـاعدتها له فـي إنجاز الكتاب وإلـى كل من اقتبس منهم خاصاً بالشكر الأستاذ عبد الرحمن بن منصور بن سليمان أبا حسين.

ثـم ذكر الدكتور أبا حسـين لمحة عـن مدينة الزبيـر، مبينـاً أنها تقـع غربي البصـرة وكانت إحـدى ضواحيها وعلـى مقربة مـن الجامع في البصـرة والذي لا زالت آثاره بادية للعيان، كما أن بعض آثار البصـرة القديمة أصبحت ضمن مدينة الزبير.

ثم بين المؤلف أن أقـدم نص ورد حول موضع قصبة الزبير ذكره الدكتور جواد علي بقوله: «يظن بعـض العلماء على أن أريسـونوي (Arisenoi) هو اسم عثر عليه في إحدى الكتابات التي وجدت فـي الزبير في مواضع اللجاة وهـو علم لقبيلة لا نعرف من أمرها شـيئاً في زمننا، ويرى بعضهم أنه أريسا (Arisa) وهو موضع الزبير المكان الذي وجدت فيه الكتابة».

وذكـر بطليمـوس : انه فـي نهايـة الخليج العربـي تقع الأوبلة (الأُبلة) (Apologus) التي حلت محلها تيريدون عند موقع الزبير الحالية، أما النبهاني فقد أورد أسـطورة لموقع مدينة الزبير بقولـه : «تقع الزبير في واد كان يسـمى (وادي النسـاء) لأن النسـاء كن يظّهرن إليه ويلتقطن منـه الكمـأة، ثم سـمي وادي السـباع، وقيل ان أسـماء بنت مريم مر بها وائل بن قاسـط فرآها

اسم المصدر: اليوم

التاريـــخ: 24-12-2009 رقم العـدد: 13341 رقم الصفحة: 19 مسلسـل: 134 رقم القصاصة: 2

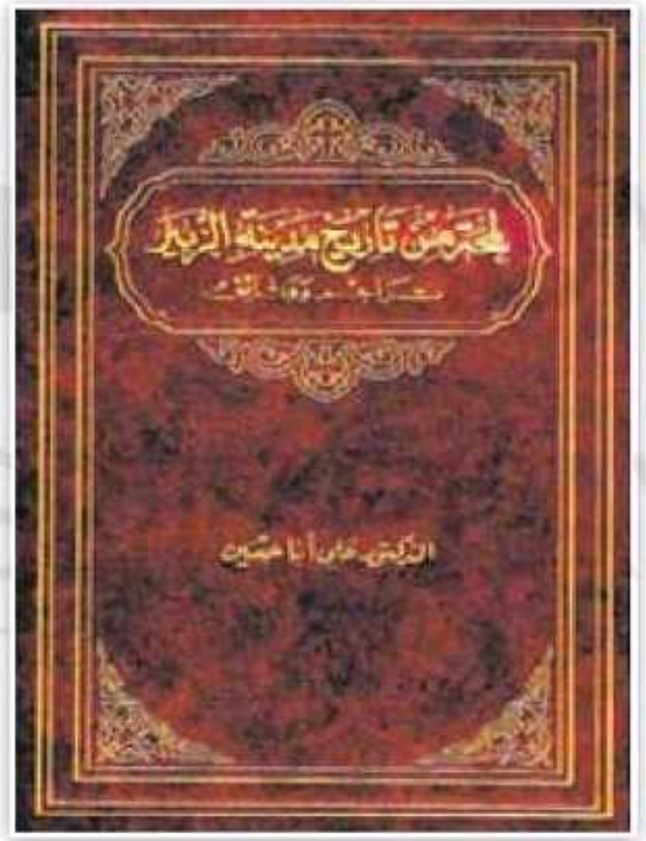

منفـردة فـي خبائها فهم بها فقالت لـه : والله لإن هممـت بـي لأدعون أسـبعي، فقـال : مـا أرى في الوادي غيرك، فصاحـت ببنيها : (يـا كلـب، يـا ذئـب، يا فهد، يا دب ، يا سـرحان، يا أسـد، يا سبع، يا ضبـع، يا نمر) فجاؤوا يتعادون بالسـيوف، فقال وائـل : مـا هذا إلا وادي السباع، فلزم هذا الاسـم ذلـك الـوادي.

ثـم لما دفـن فيه الزبيـر بن العوام رضي الله عنه سـنة 36هـ الذي قتل في واقعة الجمل، صار يسمى الموضع الزبير، ولما دخل العراق في حوزة العثمانيين قاموا ببناء مسـجد عند ضريح الزبير رضي الله عنه، وهو أول مسـجد بني في هذه القصبة، وفـي عام 979هـ أنشأ السلطان سـليم الثاني بن سليمان القانوني قبة على الضريح، وفي عهد السـلطان عبد العزيز قامت والدته بترميم القبب وتكبير المسجد.

ثـم بدأ المؤلـف يصف الزبير، حيـث بين أنها المحطـة الأولى فـي الطريق إلـى الكويت ونجد، وفـي أوائل القرن العشـرين كان عدد سـكانها يقدر بستة آلاف نسمة، وهاجر بعض سكان نجد إلـى الزبير وامتهنوا التجـارة واهتموا بالزراعة وبنوا المساجد والمعاهد العلمية.

والكتاب بشـكل عام يحفـظ نفائس تاريخية فريدة من نوعها، نفائس تمثلت في تلك الوثائق التي أدرجها الدكتور علي أبا حسـين فيه، وهي تعد مصدراً مهماً من مصادر التوثيق التاريخي، كما أن توضيـح الدكتور لبعض الوثائق وتحليله لها يعد تسـهيلاً للقـارئ وطـرح المعلومة بكل وضوح، وقد تناول الدكتور أبا حسـين في كتابه لمحة مبسـطة عن مدينة الزبيـر، ثم تناول ما جاء عـن الملك عبـد العزيـز ومدينة الزبيـر، وتعيين قنصل سـعودي في الكويت والزبير عام 1927هـ، ثم طرح على القارئ تحقيقاً في طلب الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سـعود الإقامة فـي الزبير أو الكويت، والتحقيق في تاريـخ أو توقيت حروب الملك عبد العزيز لتوحيد الجزيرة العربية، ثم عدد بعض علماء وأئمة وقضاة ومعلمين مدينة الزبير، ومنهـم إبراهيم الدبيكل إمام وخطيب مسـجد الحـزم (الدروازة) والقاضـي إبراهيم الغملاس، والمـؤرخ إبراهيـم بن صالـح بن عيسـى، وإمام وخطيب مسـجد ابـن لاحق أحمد العبد المحسـن أبا حسـين، والقاضـي أحمد بن عثمـان الجامع، والقاضي حبيب بن جاسـم الكردي، والمدرس في مدرسـة علي باشا الزهير السـيد رشيد، وصاحب جريدة الرياض سـليمان الدخيل، والعالم سليمان السـحيم، وإمام وخطيب مسجد الخشيرم عباس بن رشـيد الأعظمي، والشـاعر والقاضي عبد الله بـن ربيعة، ورئيس مكتبة الزبير الأهلية عبد الله بن عبد المحسـن بن عبد اللـه الطبطبائي، وإمام وقاضـي مسـجد الزبير عبد الله بـن عبد الرحمن بن حمود، ومدرس مدرسـة المباركية في الكويت عبد العزيز بن حمد المبارك، وإمام وخطيب مسجد الرشيدية عبد العزيز بن سـعد الربيعة، والشاعر والفلكـي والطبيب قاسـم بـن محمـد الفنيم، ورئيـس معهـد الدويحـس العلمي وإمـام وخطيـب مسـجد النجـادة محمـد بـن عبـد الرحمـن السـند، ومديـر المكتبـة الأهلية يوسف بن حسن الزهير.

ثم بـدأ المؤلف في تعداد المساجد التـي فـي مدينة الزبيـر، حيـث يذكر اسـم المسجد وموقعـه وتاريـخ بنائـه علـى أقرب تقديـر ومـن بناه ذاكـراً الأئمـة الذيـن تعاقبـوا على الإمامـة فيه، فذكر بداية مسـجد البراهيم الذي بناه البراهيم الراشد أيام الشـيخ علي 1240هـ، ومسجد الباطن الذي يقع فـي الجهة الغربية للقادم من البصرة، ومسـجد البسـام بالزهيريـة التي تشـرف على الطريق المؤدي إلى ضريح الصحابي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، ومسجد الحصي في الرشيدية، ومسـجد الخال الذي بناه عبد الله الخال، ومسجد الخمسـة، ومسـجد الدروازة الذي بنـاه عبد الله المشـري عام 1300 هـ الواقع في الجهـة الغربية وسـط السوق ويسـمى مسـجد دروازة الحزم أو الخشـيرم أو الحنيف، ومسـجد دروازة البصرة، ومسـجد الخشيرم، ومسـجد ديم خزام، ومسجد الذكير، ومسـجد الزهيرية، ومسـجد الرشيدية، ومسـجد الرواف، ومسـجد الزبير، ومسجد سوق الجت، ومسـجد العزيزية، ومسجد غانم، ومسجد القرطاس، ومسـجد الكوت، ومسـجد ابن لاحق، ومسـجد المجصـة، ومسـجد النجـادة، ومسـجد النقيـب، ومسـجد مزعـل السـعدون، ومسـجد المنتفك، ومسجد ابن فرج، ومسجد مصلى العيد.

بعد ذلك بدأ الدكتور أبا حسين بتعداد علماء الزبير، حيث يذكر اسـم العالم ونسـبه، ومسقط رأسه، ثم يستعرض سيرة حياته من نشأة وتعليم ومن درسوه ومن درسوا على يديه وترحاله وكتب مؤلفة له ومناصب تقلدها، وكل ما اتصل بحياته ووصل ليـد المؤلف منهياً سـيرة العالـم بتاريخ وفاته، وقد تناول المؤلف فـي كتابه جمعاً كبيراً من العلماء نذكر منهم : الشيخ إبراهيم بن ناصر بن جديد، والشيخ سليمان الفداغي، والشيخ أحمد بن عبد الله بن عقيل، والشـيخ ناصر بن سـحيم، والشـيخ مشعان بن ناصر المنصور ، والشيخ شاكر البغدادي، والشـيخ إبراهيم بن غملاس، والشيخ محمد بن عبد الله بن سـليمان العوجان، والشيخ محمد بن علي بن سـلوم، والشـيخ عبـد اللطيف بن محمد بن سـلوم، والشـيخ محمـود بن أحمد المجموعي، ، والشيخ عبد الوهاب الزياني، والشيخ حمود بن جسار، والشيخ محمد بن ناصر الدايل.

ثم تحدث عن الشـنقيطي ومدرسة النجاة في الزبير، حيث أورد سـيرة محمد أمين الشـنقيطي الذي ولد عـام 1296هـ في شـنقيط، الذي درس وتتلمـذ في بيئـة تزخـر بالطبيعـة والخضرة، إلى أن قـرر أن يرتحل فيصل إلى المسـجد الحرام بمكة المكرمة ويتلقى تعليمه على يد الشـيخ ابي شـعيب المغربي، ثم ارتحل إلى قصبة الزبير ليؤم الناس ويعلمهـم، وأصبح يتنقل مـا بين الزبير والكويت ليعلـم الناس ما ينفعهـم في دينهم ودنياهم، ثم أسهب المؤلف في التحدث عن حياة الشـنقيطي حتى وصل به الأمر إلى الاسـتقرار في مدينة عنيزة وتأسـيس مدرسـة فيها، إلى أن عاد إلـى البحرين وحل ضيفاً علـى رئيس مجلس المعـارف بالبحرين، ثم عاد مـرة ثانية للزبير عام 1337هـ ليؤسس مدرسـة النجاة الأهلية، ثم ذكر المؤلف أعضاء اللجنتين اللتين شكلتا لتأسيسها، والمشـايخ الذيـن توالوا علـى التدريـس فيها، متحدثـاً عن التبرعـات التي جمعـت لأجل هذه المدرسـة، والمعلمـين الذين تنازلوا عن قسـم من رواتبهم لصالح المدرسـة، أورد الدكتور بعد ذلك ترجمـة حياة الشـنقيطي بخط يـده، ومكتوبة بالحاسب الآلي ليسهل قراءتها لمتصفح الكتاب، وتوفي الشيخ الشنقيطي في الزبير يوم الجمعة فـي الرابع عشـر من شـهر جمادى الآخرة سـنة 1351هـ.

ثم أورد الدكتور أبا حسين صفحات عن مدارس الزبير من مذكرات الشـيخ ابن غمـلاس المتوفى سـنة 1354هـ، والتي أورد فيها أن أول مدرسـة نظاميـة فـي الزبير هي المدرسـة التي تأسسـت عام 1321هـ في بيت علي باشـا الزهير، ثم جاءت المدرسة الحكومية، وعلى العموم كانت في الزبير ثلاث مدارس هي مدرسـة الأولاد في البراحة في محلة الرشيدية، ومدرسـة في بيت أحمد الصالح، ومدرسة ثالثة في الزهيرية، ومدرسة النجاة التي تحدث عنها المؤلف في السابق.

بعد ذلك تحدث الدكتور عن معهد الدويحس في الزبيـر حيث يذكر الكتاب الكتب التي ذكرت معهـد الدويحـس والطـلاب الذين درسـوا فيه والمشـايخ الذين درسـوا فيه كالشـيخ حبيب بن قاسـم آغا الكروي البغدادي والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الحمود، والشـيخ عبد الله العصيمي والشيخ علي بن محمد الراشد.

أمـا مدرسـة البنات فـي الزبير التي أنشـئت عام 1342هـ - 1923هـ حيث تشـير المذكرات التي أوردها الكتاب الـى أن موظفاً من قبل الحكومة ظهـر إلى الزبيـر يريد أن يفتح مدرسـة لتعليم البنات القـرآن الكريم والكتابـة والصنائع التي تهـم المـرأة، ولـم يتحقـق طلبه حيـث امتنع الناس ودخلوا في لغط وشـد وجذب وكان الشيخ الشنقيطي والشيخ السند مؤيدين لفتح المدرسة، فافتتحت في شهر شوال من العام 1342هـ وكان موقعها ديوان الحميدان.

وتتالت المواضيـع التي طرحهـا الدكتور أبا حسـين حيث تناول في كتابه التاريخي مسـجد النجـادة الجامع فـي الزبير، ومسـجد الزبير بن العوام رضي الله عنه، وصفحات من تاريخ أسـرة أبا حسين، وصفحات من علماء أبا حسين كالشيخ عبد الله أبا حسـين والشـيخ حسن بن عبد الله أبا حسـين، والشيخ عثمان بن الشـيخ حسن بن عبد الله أبا حسـين، والشيخ عثمان بن عبد الرحمن أبا حسين، والشيخ عبد الرحمن بن محمد أبا حسين، وكثيراً من مشـايخ آل أبا حسـين الذين كان لهم الدور الفاعل في المجتمع.

ثم تحـدث عمن نزحوا من أشـيقر في نجد إلى الزبير من آل أبا حسـين، مختتماً الكتاب بترجمة لحياة المؤلف ورسائل وشهادات ووثائق وردت في ترجمة حياة المؤلف، والتذكـرة والعبرة من تاريخ بلد الزبير والبصرة، وتنزيل الرحمات على من مات من أهل الزبير، وشذرات من مذكرات ابن غملاس.

يعـد الكتاب تأصيلاً لتاريـخ مدينة الزبير، ما يميز الكتاب أنه يحوي صوراً لوثائق مهمة تتصل بتاريـخ الزبير ورجالاتها، فحيا الله الدكتور علي أبا حسين وحيا الله ما خطت يداه.

كتاب يبحث في تراجم ووثائق مدينة الزبير للدكتور أبا حسين مدير مركز الوثائق التاريخية بمملكة البحرين